أثر الترتيب النزولي على مباحث علوم القرآن عند دروزة (ت ١٤٠٤هـ) في تفسيره "التفسير الحديث"

د. خالد فؤاد محمد بليل (*)

ملخص البحث:

لم يُعرف تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم مرتبٌ على النزول، إلى أن صدر تفسير الأستاذ محمد عزة دروزة المسمى "التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول"، فكان أول تفسير ينتهج هذا النهج في تفسير القرآن الكريم.

وتهدف الدراسة: لبيان موقف دروزة من ترتيب سور القرآن الكريم سواء: الترتيب المصحفي أو التفسيري لسور القرآن الكريم، وكذلك بيان بعض من مباحث علوم القرآن التي تأثرت بفكرة التفسير حسب ترتيب النزول عند دروزة، وبيان المآخذ التي أخذت على ترتيب دروزة النزولي في تفسيره.

واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي ثم التحليلي، وذلك باستقراء التفسير الحديث لدروزة، وبيان منهج دروزة في تفسيره، وإيضاح المآخذ والإشكالات عليه، وعلى هذا اللون من التفسير .

وخلصت الدراسة: إلى أنَّ القول بترتيب القرآن على النزول دعوى لا تصح، وذلك لعدم وجود روايات تبين الترتيب الزمني الدقيق والصحيح لنزول السور، وكذلك لم يلتزم دروزة بالترتيب الذي اعتمده لمصحف (قدور أوغلي)، وإن الدعوةَ لإعادة ترتيب القرآن وفق النزول تنطوي على إشكالات كثيرة.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن - ترتيب النزول- التفسير - المكي والمدني- أسباب النزول- المناسبات.

(*) مدرس بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب- جامعة سوهاج.

Research Summary:

A complete interpretation of the Noble Qur'an was not known in order of revelation, until the publication of the interpretation of Professor Muhammad Izzat Darwaza called "The Modern Interpretation Arrangement of Suras according to Revelation." It was the first interpretation to follow this approach in the interpretation of the Noble Qur'an.

The study aims: To demonstrate Darwazah's position on the order of the suras of the Holy Qur'an, whether: the scriptural or exegetical arrangement of the suras of the Holy Qur'an, as well as to clarify some of the researches of the Qur'anic sciences that were affected by the idea of interpretation according to the order of descent at Darwazah, and to show the objection that took Darwazah's descending order in his interpretation.

The study followed the inductive-analytical method, by extrapolating the modern interpretation of Darwaza, clarifying Darwaza's approach to its interpretation, and clarifying the faults and problems with Darwaza's interpretation, and on this type of interpretation.

The study concluded: that saying the order of the Qur'an to be revealed is a claim that is not correct, because there are no narrations that show the exact and correct chronological order for the descent of the surahs, and also Darwazah did not adhere to the order that he adopted for the Qur'an (Kaddour Oghli), and the call to rearrange the Qur'an according to the revelation involves many problems.

Key words: order of revelation - interpretation - Darwaza - Mecca and Medina - reasons for revelation - occasions.

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، على نعمه، وآلائه العظمى، أنزل القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، فكتابه الفصل ليس بالهزل، لا تنقضي عجائبه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن العلماء أولوا كتاب الله - عز وجل - عناية فائقة، سواء لتلاوته أو دراسته، وكلٌ علماء الأمة المخلصين يحاولون جاهدين بأن يأتوا بما ينفع الأمة والمسلمين، وأن يستخرجوا ما في القرآن من حكم وعبر ومعجزات تخدم الأمة، ولقد ظهر في عصرنا الحاضر تفاسير تدعو لإعادة ترتيب سور القرآن الكريم على وفق النزول، حجتهم في ذلك أنَّ هذا الصنيع يساعد على فهم كتاب الله عز وجل، وكان ممن سلكوا ذلك المسلك محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى "التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول"، حيث قام بترتيب تفسيره على حسب نزول السور.

في الوقت الذي لم يُعرف في تاريخ الإسلام تأليف تفسير كامل على ترتيب النزول، إلى أن أصدر دروزة تفسيره، وأعقبه تفسير "بيان المعاني" للأستاذ ملا حويش، ثم "التفسير المرتب" للدكتور أسعد علي، وأخيرًا تفسير معارج التفكر للأستاذ حنبكة، وهذا الترتيب للتفسير لم ينتهجه أحد من المفسرين السابقين؛ لذا بَيّن هذا البحث آراء العلماء في ترتيب سور القرآن، وموقف دروزة من ترتيب سور القرآن، سواء ترتيب المصحف العثماني على النزول، والترتيب النزولي للتفسير.

وظهر جليًا تأثر علوم القرآن بالترتيب حسب النزول في تفسير دروزة، ونظرًا لكثرة مباحث علوم القرآن التي أشار لها السابقون وألف فيها العلماء، فقد أوصلها الإمام جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" لثمانين علمًا، فقال: "فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَوْعًا عَلَى سَبِيلِ الْإِدْمَاجِ وَلَوْ نَوَّعْتُ بِاعْتِبَارٍ مَا أَدْمَجْتُهُ فِي ضِمْنِهَا لَزَادَتْ عَلَى الثَّلَاثِمِائَةِ، وَغَالِبُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ فِيهَا تَصَانِيفُ مُفْرَدَةٌ وَقَفْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا"[(١)]، فلذلك اقتصرت الدراسة على بيان ثلاثة أنواع فقط من علوم القرآن، وبيان تأثر تلك العلوم بذلك الترتيب النزولي، وهي: المكي والمدني، وأسباب النزول، والمناسبات، ومعرفة أثر الترتيب النزولي عند دروزة على تلك

(١)الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٣١/١ .

العلوم، لذا جاء البحث بعنوان: " أثر الترتيب النزولي للتفسير على مباحث من علوم القرآن عند دروزة (ت ١٤٠٤هـ) في تفسيره "التفسير الحديث" .

أهمية الموضوع:

١. تسليط الضوء على طريقة جديدة في تفسير القرآن الكريم، وهي تفسير القرآن حسب نزول السور.
٢. إنّ تفسير القرآن الكريم حسب النزول يمس جانبًا من قدسية القرآن الكريم، فيحتاج إلى سياج منيع من الضوابط للإقدام عليه.
٣. إن في طريقة تفسير القرآن الكريم حسب نزول السور مدخلاً للمغرضين والحاقدين على الإسلام بالعبث في إعادة ترتيب سور المصحف.
٤. بيان ما يقدمه هذا اللون من التفسير من إضافة في هذا العلم، أم أن ضرر ذلك أكبر من نفعه.
٥. بيان تأثر بعض مباحث من علوم القرآن بذلك التفسير النزولي لدروزة .

أهداف البحث:

١. إيضاح جانب من مباحث علوم القرآن التي تأثرت بفكرة التفسير حسب النزول عند دروزة.
٢. بيان الآثار المترتبة على سلوك هذه الطريقة في التفاسير التي خالفت جمهور المفسرين.
٣. الوقوف على تفسير دروزة، والبحث في مدى جواز هذا التفسير بترتيبه على نزول السور، وما يقدمه من جديد ذلك الترتيب في مجال دراسة وفهم كتاب الله، والمآخذ التي تؤخذ عليه.
٤. إبراز المأخذ المترتبة على ترتيب التفسير على النزول عند دروزة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. تسليم كثير من المؤلفين لهذا الترتيب.
٢. بيان المآخذ على هذا النوع من التفسير، والذي وضع على الترتيب النزولي.
٣. التأكيد على قدسية مسألة الترتيب القرآني، خاصة في ترتيب الآيات، وحماية جناب القرآن من المساس بنظم آياته وسوره، ولبيان الخلل في ترتيب تفسير القرآن على النزول.
٤. تأثر مباحث من علوم القرآن بترتيب التفسير على النزول، والوقف على أسباب ذلك التأثر.

منهج البحث:
اتبعت فيه المنهج الاستقرائي ثم المنهج التحليلي، وذلك باستقراء التفسير الحديث لدروزة، ومن ثم تحليل ما فيه لبيان المآخذ عليه، ومباحث علوم القرآن التي تأثرت بهذا الترتيب في التفسير.

الدراسات السابقة:
وقفت على رسالتين دكتوراه إحداهما: تناول تفسير دروزة ضمن التفاسير التي تناولها مرتبة على النزول في رسالته، والرسالة الثانية تناولت تفسير دروزة من دون التركيز على قضية الترتيب، والرسالتان هما:
١- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠٠٦م.
٢- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن، فريد مصطفى سليمان، رسالة دكتوراه، الرياض مكتبة الرشد، ١٩٩٣م/١٤١٤هـ .

خطة البحث:
جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:
فأما المقدمة فتحتوي على:
(أهمية وأهداف الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث) .
التمهيد ويحتوي على:
أولاً: ترجمة محمد عزة دروزة .
ثانيًا: مفهوم التفسير حسب ترتيب النزول .
ثالثًا: دوافع ترتيب دروزة لتفسيره ترتيبًا نزوليًا .
المبحث الأول: القرآن الكريم بين ترتيب النزول و ترتيب التلاوة، وموقف دروزة من ترتيب سور القرآن، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: آراء العلماء في ترتيب سور القرآن.
المطلب الثاني: موقف دروزة من ترتيب سور القرآن الكريم الترتيب المصحفي والتفسيري.
المبحث الثاني: الترتيب النزولي لتفسير دروزة في الميزان، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الترتيب الذي اعتمد عليه دروزة في ترتيب السور.
المطلب الثاني: المآخذ التي أُخذت على ترتيب دروزة النزولي في تفسيره.
المبحث الثالث: مباحث من علوم القرآن التي تأثرت بفكرة التفسير النزولي عند دروزة، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على المكي والمدني.

المطلب الثاني: أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على أسباب النزول.
المطلب الثالث: أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على المناسبات.
الخاتمة: وتحتوي على:
أهم النتائج والتوصيات .
ثم: فهرس المصادر والمراجع .

التمهيد:

أولاً: ترجمة محمد عزة دروزة .

اسمه:

محمد عِزّة بن عبد الهادي بن درويش بن إبراهيم بن حسن دروزة، وكنيته: أبو زهير، وزهير: ولده الوحيد، إضافة إلى ثلاث بنات[١].

مولده:

ولد الأستاذ دروزة ليلة السبت في الحادي عشر من شهر شوال سنة ١٣٠٥هـ، الموافق آخر شهر حزيران (يونيو) من سنة ١٨٨٧م في مدينة نابُلُس الفلسطينية، وقد حصل بعد ذلك على الجنسية السورية، وأقام في دمشق، فهو فلسطيني المولد والنشأة، سوري الجنسية والإقامة[٢].

كانت أسرته متوسطة الحال، فقد عمل والده في تجارة الأقمشة في مدينة نابُلُس، كما كانت متمسكة بدينها؛ مما أثر في تكوين شخصية دروزة[٣].

نشأته:

نشأ الأستاذ دروزة في مدينة نابُلُس، وعندما بلغ الخامسة من العمر وجَّهَهُ والده إلى أحد كتاتيبها؛ ليتعلم القراءة والكتابة وتجويد القرآن، وبعد أن أُنشئت المدرسة الحكومية أو شبه الحكومية، التي كان يقوم على إدارتها الشيخ محمد زعيتر، ألحقه والده بها، وكان ذلك سنة ١٨٩٥م، واستمر بها إلى أن حصل على شهادتها سنة ١٩٠٠م[٤].

وظائفه:

عمل الأستاذ دروزة بعد انتهائه من الدراسة الاعدادية (الرشدية) في دائرة البرق والبريد العثمانية، وذلك في ١٩٠٦م، وما لبث أن أصبح موظفًا في الدائرة نفسها، وبدأ يتنقل في وظائف عدة إلى أن أصبح سكرتيرًا لديوان المديرية العامة في بيروت إلى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م[٥].

---

(١)انظر: محمد عزة دروزة، حسين عمر حمادة، ص١٥ - من أعلام الفكر في فلسطين، د. حسن عبد الرحمن السلوادي، ص٣٧.

(٢) محمد عزة دروزة، حسين عمر حمادة، ص١٥ – من أعلام الفكر في فلسطين، د. حسن عبد الرحمن السلوادي، ص٣٧.

(٣)مذكرات وتسجيلات محمد عزة دروزة ٩٧ عامًا في الحياة، ٤٥/١.

(٤)مذكرات محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٥/١.

(٥) مذكرات محمد عزة دروزة، ١٦٧/١- ١٧٩، التفسير الحديث ٢٣/١٠، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، فريد مصطفى سليمان، ص٣٤.

ثم صار رئيسًا لمدرسة النجاح الوطنية الابتدائية والثانوية في نابُلُس ١٩٢٢-١٩٣٢م، ثم صار بعدها مأمورًا لأوقاف نابُلُس الإسلامية ١٩٢٧- ١٩٣٢م، ثم مديرًا عامًا للأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٩٣٢- ١٩٣٧م، وفي سنة ١٩٣٧م وضع الإنكليز يدهم على الأوقاف الإسلامية والمجلس الإسلامي الأعلى، بسبب الثورة العربية التي اندلعت ضدهم في سنة ١٩٣٦م، واستمرت إلى أواخر سنة ١٩٣٩م فأقالوه، ولم يعمل بعد ذلك موظفًا[١].

مؤلفاته[٢]:

١. عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة (مقتبس من القرآن الكريم)، كتبه خلال اعتقاله في سجن المرة ١٩٣٩م .
٢. سيرة الرسول ﷺ (صور مقتبسة من القرآن وتحليلات ودراسات قرآنية)، وقد جاء في جزئين .
٣. اليهود في القرآن الكريم: وقد كتبه في عام ١٩٤٩م؛ مبينًا أحوال وأخلاق اليهود في القرآن، ومواقفهم من الدعوة الإسلامية في الحجاز، ومواقف النبي ﷺ منهم.
٤. المرأة في القرآن والسنة: كان قد كتب في عام ١٩٥٠م كتابًا ضمنه شرحًا موجزًا لما في القرآن من حقوق المرأة وآدابها، وعناية القرآن بها.
٥. القرآن المجيد: وهو بحوث في علوم القرآن وأساليب التفسير والطريقة المثلى في التفسير، وكانت بمثابة مقدمة لتفسيره.
٦. الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة: والكتاب يشتمل على ثلاثة أبواب كبرى، الأول: في النظام السياسي، والثاني: في النظام الاجتماعي، والثالث: في النظام الأخلاقي.
٧. التفسير الحديث: وهو تفسير كامل للقرآن الكريم على حسب ترتيب النزول، وقد طبع مرتان، وقد زاد الأستاذ دروزة في الطبعة الثانية لتفسيره زيادات كبيرة، تشمل معاني المفردات، وبعض الفقرات التوضيحية، والأحاديث النبوية في إيضاح المعاني، أو بيان فضائل السور أو الأحكام المستنبطة، أو غير ذلك، فلا تخلو فقرة ولا تفسير سورة من الزيادة والتعديل.

وفاته:

عُمِّرَ الأستاذ دروزة عمرًا مديدًا، حتى بلغ ٩٩ عامًا هجرية، ووافته المنية بحي الروضة في دمشق يوم الخميس في ٢٨ شوال عام ١٤٠٤هـ الموافق ٢٦

(١) التفسير الحديث ٢٣/١٠، المجلة العربية للثقافة، ع١٠، مارس ١٩٨٦م، ص٩٣.
(٢) التفسير الحديث (دراسة تحليلية)، د. عبد الحكيم الأنيس، ص٣٠-٣٧ / محمد عزة دروزة، حسين عمر حمادة، ص٥٤- ٧٩/ التفسير الحديث ٢٧/١٠.

يوليو ١٩٨٤م، وقد توفى وهو بكامل قواه العقلية، وجرى له تشييع رسمي، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق في قبر أمه تنفيذًا لوصيته، وكانت أمه قد توفيت عام ١٩٤٤م[١].

ثانيًا: مفهوم التفسير حسب ترتيب النزول .

أولاً: مفهوم الأثر:

الأثر لغة:

"الأثر مصدر الفعل الثلاثي أثر، والآثار جمع الأثر، يقال: أَثَر وأَثَّرَ فيه تأثيرًا: ترك فيه أثرًا، والأثر بفتحتين بقية الشيء أو الخبر"[٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٣]، "أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم، أي من سنَّ سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة كتب له عقابها، وسنن النبي ﷺ آثاره"[٤].

وجاء في القاموس المحيط: "الأَثَرُ محرَّكةً: بَقِيَّةُ الشيءِ، والجمع: آثارٌ وأُثورٌ، وخَرَجَ في إِثْرِهِ وأَثَرِه: بعدَه، وائْتَثَرَه وتَأَثَّرَهُ: تَبِعَ أَثَرَه، وأَثَّرَ فيه تأثيراً: تَرَكَ فيه أثراً، والآثارُ: الأَعْلامُ"[٥]، وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده .

الأثر اصطلاحًا:

الأثر في اصطلاح الفقهاء والأصوليين والمحدثين لا يخرج عن تلك المعاني اللغوية؛ فيطلقون الأثر- بمعنى البقية – بمعنى بقية النجاسة وغيرها.

كما يطلقونه بمعنى الخبر فيريدون به الحديث المرفوع أو الموقوف أو المقطوع، ويطلقونه بمعنى ما يترتب على الشيء وهو المسمى بالحكم عندهم، كما إذا أضيف إلى الشيء"[٦].

وأطلق المحدّثون الأثر تارة على الحديث الموقوف وهو: "وهو المروي عن الصحابة قولاً أو فعلاً أو نحوه متّصلاً كان أو منقطعًا، ويستعمل في غيرهم مقيّدًا"[٧] .

(١) التفسير الحديث (دراسة تحليلية)، د. عبد الحكيم الأنيس، ص٢٦- تتمة الأعلام، ١٩٧/٢.
(٢)القاموس المحيط للفيروز آبادي، ٤٣٥/١ – لسان العرب، ابن منظور، مادة "أ ث ر"، ٥/٤ .
(٣) سورة يس: الآية ١٢ .
(٤) أساس البلاغة، الزمخشري، ٢/١ .
(٥)القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٣٤١/١ .
(٦)الموسوعة الفقهية الصادرة من وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٤٩/١.
(٧) تدريب الراوي، السيوطي، ص ١١٧ .

ولم يحسم الأمر حتى عند المتأخّرين، إذ قال بعضهم: "وأمّا الأثر: فربّما يخصّص بما ورد عن المعصوم من الصحابي أو التابعي، وربّما يستعمل مرادفًا للحديث وهو الأكثر"[١].

وهذا المعنى هو الأكثر تداولاً، خصوصًا في المأثور، إذ يراد به الحديث المنقول، ولذا يقيّد عادة بمن نقل عنه، فيقال: المأثور عن النبيّ ﷺ أو الأئمّة عليهم السلام أو المأثور عن الصحابة أو التابعين.

ثانيًا: التفسير لغةً:

التفسير لغةً على وزن تفعيل من الفُسْر، وهو يدل على معنى البيان والكشف والإظهار والإيضاح والتفصيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[٢]، أي بياناً وتفصيلاً"[٣].

فالتَّفسيرُ: تفعيلٌ من الفَسْرِ، وأصلُ مادَّتِه اللُّغوية تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه، ولذا قيلَ: الفَسْرُ: كَشفُ المغطَّى، وقيلَ: هو مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرْتُ الحديثَ، أفسُرُهُ فَسْراً؛ إذا بيَّنتُه وأوضحتُه، وفَسَّرْتُهُ تفسيراً: كذلك"[٤].

التفسير اصطلاحًا:

اختلفتْ عباراتُ المعرِّفينَ لمصطلحِ التفسيرِ، وكان فيها توسُّعٌ أو اختصارٌ، وممن عرَّفه:

ابن جُزَيّ (ت:٧٤١هـ)، قالَ: "معنى التَّفسير: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه"[٥].

وعرَّفَهُ أبو حيان (ت:٧٤٥هـ)، فقال: "التفسيرُ: علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديَّةِ والتركيبيَّةِ، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيبِ، وتتماتُ ذلك"[٦].

وعرَّفه الزَّرْكَشِيُّ (ت:ه٧٩٤هـ)، فقالَ: "علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ اللهِ المنَزَّلِ على نبيه محمدٍ ﷺ، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكَمِهِ"[٧].

---

(١) أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، جعفر السبحاني، ص٢٠ .
(٢)سورة الفرقان: الآية (٣٣) .
(٣)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ١/ ٧٨ – ٧٩ .
(٤)جمهرةُ اللغةِ، لابنِ دريدٍ (٧١٨/٢)، وينظر في مادة (فسر) كتابَ العينِ، للخليل (٢٤٦/٧)، والمحيطَ في اللغةِ، لابنِ عبادٍ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (٣١١/٨).
(٥)التسهيل لعلوم التَّنْزيل، لابن جُزَي، (٦/١) .
(٦)البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٦/١) .
(٧)البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٣/١) .

مفهوم الترتيب النزولي للقرآن:

الترتيب النزولي اصطلاحًا، يتكلم عنه العلماء إجمالاً باعتباره أمرًا مفهومًا مدركًا من حيث المسمى والواقع، في كتب علوم القرآن والدراسات القرآنية، دون أن يتطرقوا لتعريفه أو وضع حد له؛ فإذا أردنا أن نضع له تعريفًا، فيمكن القول: إن الترتيب النزولي هو: "ترتيب سور القرآن الكريم وآياته وفق أَولِية نزولها، بوضع أولها نزولا، ثم الذي يليه، وهكذا من بداية البعثة إلى أن قُبِض الرسول ﷺ "(١).

"أو أن يوضع ما نزل أولاً ثم الذي تلاه في النزول، ثم الذي يليه إلى انتهاء عصر الرسالة، وانقطاع الوحي بانتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى"(٢) .

وعرفه البعض بأنه: "معرفة تقدم بعض السور على بعض، وتأخر بعض السور عن بعض"(٣) .

ويلحظ أن مفهوم التفسير حسب النزول لم يذكر له تعريفًا قديمًا، وذلك يرجع إلى جدته، فلم يعرف إلا في العصر الحديث، وقال عنه سليمان محمد الدقور:

" إلا أن تحديد مفهوم التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول يحتاج إلى جهد شخصي في توضيحه وتجليته؛ إذ هو ليس مصطلحًا فنيًا يتداوله أهل العلم، إنما هو اصطلاح إجرائي؛ أجراه بعض الدارسين لتفسير القرآن على جهدهم في تناول القرآن الكريم بالتفسير والبيان، ومن هنا فيمكن القول: إن تفسير القرآن حسب ترتيب النزول يقصد به تناول سور القرآن الكريم وآياته بالبيان والشرح والتوضيح حسب نزولها، لا حسب ترتيبها في المصحف، كما هو بين أيدينا"(٤).

ثالثًا: دوافع ترتيب دروزة لتفسيره ترتيبًا نزوليًا:

قام محمد عزة دروزة بترتيب تفسيره "التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول" ترتيبًا زمنيًا حسب نزول القرآن، فبدأ بتفسير سورة اقرأ ثم سورة ن

(١) دعوة المستشرقين لترتيب القرآن وفق النزول ودوافعها وإشكالاتها، محمد رضا حسن الحوري وآخرين، مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مؤتة، مج٣٤ ع٣، ٢٠١٩م، ص٢٢٠.

(٢) تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠٠٦م، ص٨٨.

(٣) ترتيب نزول السور وموقف الطاهر ابن عاشور منه: جمع ودراسة، شافي سلطان محمد العجمي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، مج٣٢ ع١٠٨، ٢٠١٧م، ص٧ .

(٤) منهج التعامل مع النص القرآني حسب ترتيب النزول قراءة في كتاب الجابري "فهم القرآن الحكيم، د. سليمان محمد الدقور، الجامعة الأردنية / كلية الشريعة، مؤتمر التعامل مع النصوص الشرعية (الكتاب والسنة)، ٢٠٠٨م، ص٤ .

والقلم، ثم المزمل، ثم المدثر، ثم انتهى من السور المكية، وبدأ بالسور المدنية حتى نهايتها، فعلى الرغم من نهج دروزة هذا النهج المتميز في التفسير إلا أنه ينقصه كثير من تحرير بعض المواضع في ترتيبها النزولي، ولم يقف موقف الناقد البصير لهذا الترتيب، كما أن اعتماد هذا المنهج في التفسير قد يفتح الباب أمام أصحاب النفوس المريضة وأعداء الإسلام من مستشرقين ومستغربين، فينالوا من قدسية كتاب الله .

ويقول دروزة في مقدمة تفسيره:

".....فإننا بعد أن كَتبنا كُتبنا الثلاثة وهي: عصر النبي ﷺ وسيرة الرسول ﷺ من القرآن، والدستور القرآني في شؤون الحياة، انبثقت فينا فكرة كتابة تفسير شامل، بقصد عرض القرآن بكامله بعد أن عرضناه فصولاً حسب موضوعاته في الكتب الثلاثة، نظهر فيها حكمة التنزيل ومبادئ القرآن، ومتناولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين، متجاوبين مع الرغبة الشديدة الملموسة عند كثير من شبابنا الذين يتذمرون من الأسلوب التقليدي ويعرضون عنه، مما أدى إلى انبتات الصلة بينهم وبين كتاب دينهم المقدس، ويدعو إلى الأسف والقلق)، وعلق المؤلف على الكلام السابق في الطبعة الثانية بقوله: (ونزيد على ما قلناه في الطبعة الأولى فنقول: إن الحاجة إلى ذلك تشتد يوماً بعد يوم بنسبة ازدياد ما يتعرض له شبابنا وناشئتنا من تيارات جارفة عاصفة من الإلحاد والتحلل من مختلف القيم والروابط الأخلاقية والاجتماعية والتقليد الأعمى لكل تافه سخيف، مخل بالدين والخلق والمروءة، والإقبال على قراءة المجلات والروايات الماجنة الخليعة التافهة.. ا.هـ"[١] .

وقال مبينًا منهجه: "ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزّمل إلى أن تنتهي السور المكّية، ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية؛ لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته؛ إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"[٢] .

(١) التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، د. مصطفى مسلم، بحث منشور في موقع ملتقى التفسير، وقد ذكر الدكتور مصطفى أنه قدم بحثه هذا لأحد المؤتمرات، ولكنه لم يذكر عنوان المؤتمر أو تاريخه، ص١١٧.

(٢) التفسير الحديث، دروزة، ٩/١ .

وادعى دروزة كذلك أن من دوافع ترتيبه لتفسير القرآن على النزول، أنّ ذلك ادعى لفهم القرآن، وأن في ذلك الترتيب بيانًا لحكم تنزيل السور، فقال:

"لأننا رأيناه على كل حال يظل مفيدًا في تحقيق ما استهدفناه والمنهج الذي ترسّمناه، وخاصة بالنسبة إلى فائدة تتبع صور التنزيل القرآني مرحلة فمرحلة والاستشعار بجوّ هذه الصور، حيث يكون ذلك أدعى إلى تفهم القرآن وحكمة التنزيل"(١) .

وقد حدد د. مصطفى مسلم دوافع دروزة لكتابة تفسيره "التفسير الحديث" بالنقاط التالية(٢):

١. بيان حكمة التنزيل ومبادئ القرآن ومتناولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين.
٢. التجاوب مع رغبة الشباب المتذمرين من الأسلوب التقليدي في التفسير.
٣. لانتشال الشباب والناشئة من التيارات الإلحادية المتحللة من القيم والأخلاق والتقليد الأعمى لكل تافه سخيف مخل بالدين والخلق والمروءة.
٤. في هذا المنهج تسهيل فهم القرآن.
٥. يمكن هذا المنهج من متابعة السيرة النبوية زمناً بعد زمن.
٦. كما يمكن هذا المنهج من متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق.

وإن كان من تعليق على تلك النقاط؛ فالتعليق يطول والنقد لها سهل ميسور؛ لأن تلك الأسباب والدوافع في تأليف دروزة لتفسيره على النزول غير مقنعة والردود عليها يسيرة، فالزعم بأن ترتيب التفسير على النزول يؤدي لبيان حكمة التنزيل، فذلك يعني بأن ترتيب التفسير على المصحف لا يستبين منه حكمة التنزيل، وفي ذلك قدح في المفسرين السابقين كالطبري والقرطبي وابن كثير والزمخشري....إلخ، فهؤلاء العلماء وغيرهم لو رأوا أنّ الحكمة في الترتيب على النزول لأقدموا عليه، كما أن الادعاء بتذمر الشباب من التفاسير المؤلفة على ترتيب المصحف ووصفه بالأسلوب التقليدي فهذا ادعاء خاطئ ولا دليل عليه، وهل أقبل الشباب على التفسير المرتب على النزول؟، كما أن ادعاء أن هذا التفسير لانتشال الشباب من التيارات الالحادية، فهل هذا يعالج بترتيب القرآن في التفسير على النزول أم يعالج بالتوعية والتبصير والفهم الصحيح للدين، فتلك الدوافع يطول الرد عليها، وهي غير مقنعة ومردود عليها.

(١) المصدر نفسه، ١٣/١ .

(٢) التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، د. مصطفى مسلم، مرجع سابق، ص١٢٥ .

المبحث الأول:
القرآن الكريم بين ترتيب النزول و ترتيب التلاوة، وموقف دروزة من ترتيب سور القرآن .

المطلب الأول: آراء العلماء في ترتيب سور القرآن

لسور القرآن الكريم ترتيبان، أحدهما: ترتيب نزولي على حسب نزول السور، وذلك ما انتهجه دروزة في تفسيره المسمى بالتفسير الحديث، وهذا النوع من الترتيب يحرم في كتابة المصاحف والتلاوة كذلك، وأجازه بعضٌ من العلماء للترتيب النزولي في التفسير، وأما الترتيب الأخر فهو: ترتيب التلاوة أي بحسب ترتيب السور في المصحف الذي بين أيدينا، بحيث يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس، وقد انقسم العلماء حيال ترتيب التلاوة على ثلاثة آراء.
وأما ترتيب السور فعلى ثلاثة أقوال، هي[١]:

القول الأول:: أدلة القائلين بأن ترتيب سور القرآن كان بتوقيف من النبي ﷺ:

ومعنى توقيفي أي: تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة، فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع، ويمثل هذا الفريق القاضي أبو بكر الباقلاني – في أحد قوليه- وأبو بكر الأنباري، والكرماني، والطيبي .

وقَالَ أبو بكر الأنباري: "أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَى سماء الدُّنْيَا ثُمَّ فَرَّقَهُ فِي بِضْعٍ وَعِشْرِينَ فَكَانَتِ السُّورَةُ تَنْزِلُ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ وَالْآيَةُ جَوَابًا لِمُسْتَخْبِرٍ وَيُوقِفُ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مَوْضِعِ الْآيَةِ وَالسُّورَةِ فَاتِّسَاقُ السُّوَرِ كَاتِّسَاقِ الْآيَاتِ وَالْحُرُوفِ كله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ قَدَّمَ سُورَةً أَوْ أَخَّرَهَا فَقَدْ أَفْسَدَ نَظْمَ الْقُرْآنِ"[٢].

وقال الكرماني (ت ٥٠٥هـ): "أول الْقُرْآن سُورَة الْفَاتِحَة ثمَّ الْبَقَرَة ثمَّ آل عمرَان على هَذَا التَّرْتِيب إِلَى سُورَة النَّاس وَهَكَذَا هُوَ عِنْد الله فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ وَهُوَ على هَذَا التَّرْتِيب، كَانَ يعرضه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام على جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام كل سنة، أَي مَا كَانَ يجْتَمع عِنْده مِنْهُ وَعرضه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي السّنة الَّتِي توفى فِيهَا مرَّتَيْنِ"[٣].

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن للبقاعي، ص٧٣ .
(٢) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢١٧/١ .
(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني، ص٦٨ .

ومن أدلة هذا القول:

قد ثبت في أحاديث كثيرة ذِكر سور القرآن الكريم المتوالية حسب ترتيب المصحف العثماني الذي بين أيدينا، ومن تلك الأحاديث:

عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)[١] .

وعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: (إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي)[٢] .

- عدم ترتيب القرآن على النزول، بحيث يقدم المكي على المدني، وهو ثابت قطعيًا.

- أن ما ثبت قطعا في ترتيب السور – كما جاء في السنة الصحيحة- يدل على أن ما لم يذكر ترتيبه من السور، مرتب كذلك، إذ القرآن وحدة متكاملة.

"كذلك اجماع الصحابة على ترتيب السور في المصحف الذي كتب في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد، لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها؛ بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعًا"[٣] .

القول الثاني: أنّ هذا الترتيب من اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم:

وقد ذهب أصحاب هذا القول إلى أنّ ترتيب السور في المصحف اجتهادي، اجتهد فيه الصحابة رضي الله عنهم في عهد عثمان رضي الله عنه، ثم أجمعوا عليه، ولم يكن بتوقيف من النبي ﷺ.

فقال الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ):

" إن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان فلو كان هذا الترتيب توقيفيًا منقولاً عن النبي ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجازوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات، فهذا مصحف أبي بن كعب روي أنه كان مبدوءًا بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل

---

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، رقم الحديث ٢٥٢ - (٨٠٤)، ٥٥٣/١.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ، رقم الحديث ٤٩٩٤، ١٨٥/٦ .

(٣) القرآن جمعه وترتيبه، محمد حجاج، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٢، ١٩٧٢م، ص١٥٣

عمران ثم الأنعام، وهذا مصحف ابن مسعود كان مبدوءًا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران الخ على اختلاف شديد، وهذا مصحف علي كان مرتبًا على النزول فأوله اقرأ ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني"[١].

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: "وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك، وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براءة، وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، هذا أحد ما قيل في براءة، ثم قال: وظاهر الآثار أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتبًا في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رُتب وقت كتابة المصحف"[٢].

واستدلوا على قولهم بعدد من الأدلة منها:

بحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ، وَإِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ المَثَانِي فَجَعَلْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ عُثْمَانُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا تَنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «ضَعْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا، كَذَا وَكَذَا»، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَالْآيَتَانِ فَيَقُولُ: مِثْلَ ذَلِكَ، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَمِنْ هُنَاكَ وَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[٣].

وقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: "فِيهِ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ إِنَّ تَرْتِيبَ السُّوَرِ اجْتِهَادٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ كَتَبُوا الْمُصْحَفَ، وأنهمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ تَرْتِيبِ النَّبِيِّ ﷺ بَلْ وَكَّلَهُ إِلَى أُمَّتِهِ بَعْدَهُ قَالَ، وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، وقال: هُوَ أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ مَعَ احْتِمَالِهِمَا"[٤].

---

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٥٣/١ .

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤٩/١ .

(٣)سنن أبي داود، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَنْ جَهَرَ بِهَا، رقم الحديث ٧٨٦، ٢٠٨/١؛ السنن الكبرى، النسائي، رقم الحديث ٧٩٥٣، ٢٥٣/٧؛ سنن الترمذي، رقم الحديث ٣٠٨٦، ١٢٣/٥؛ وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه أنه لا أصل له؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (٥٩٩)، ويزيد الفارسي مجهول وقد انفرد بهذا الحديث، ومن قبل: ضعفه ابن عطية فقال: "هذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب اهلل هكذا". المحرر الوجيز: ٣/٣ . وقد حسنه بعض أهل العلم منهم الإمام الترمذي، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٢٢١/١ .

(٤) شرح النووي على مسلم، النووي، ٦١/٦ .

واستدلوا باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل جمع المصاحف العثمانية، فكان مصحف علي بن أبي طالب مرتبًا على النزول، فأوله كان "اقرأ"، ثم "المدثر"، ثم "ن"، ثم "المزمل"، ثم "تبت"، ثم "التكوير"، ثم "سبح"....، وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني(١).

وكان مصحف ابن مسعود أوله: "البقرة"، ثم "النساء"، ثم "آل عمران" على اختلاف شديد، ولم يكن على ترتيب النزول، ومصحف أَبي: "الفاتحة"، ثم "البقرة"، ثم "النساء"، ثم "آل عمران"، ثم "الأنعام" وهكذا غيرهم. فقالوا: لو كان هناك ترتيب من النبي ﷺ ما اختلفت مصاحف الصحابة عن ترتيب النبي ﷺ، ولكانت جميعًا على ترتيب واحد"(٢).

كما استدلوا أيضًا أن الخلاف نقل في ترتيب السور لا في ترتيب الآيات، فترتيب الآيات لم ينقل أن الصحابة رضى الله عنهم اختلفوا في ترتيبها، مما يدل دلالة قطعية على توقيف ترتيبها على النبي ﷺ، وذلك بخلاف ترتيب السور الذي نقل الخلاف في ترتيبها، مما يدل بوضوح على أن ترتيبها اجتهاد من الصحابة رضى الله عنهم، ولم توقف على النبي ﷺ؛ إذ إنها لو كانت بتوقيف للنبي ﷺ ما حدث اختلاف في ترتيبها .

القول الثالث: أن الترتيب بين سور القرآن بعضه توقيفي والآخر اجتهادي:

ذهب جماعة من العلماء أنّ بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضه باجتهاد من الصحابة، فما وردت فيه الأدلة على ترتيبه قلنا إنه توقيفي، وما لم يرد فيه دليل قلنا إن ذلك تركه النبي ﷺ لاجتهاد الصحابة رضى الله عنهم.

قال الزركشي: " مَالَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ ابْنُ عَطِيَّةَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ السُّوَرِ كَانَ قَدْ عَلِمَ تَرْتِيبَهَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالسَّبْعِ الطِّوَالِ وَالْحَوَامِيمِ وَالْمُفَصَّلِ وَأَشَارُوا إِلَى أَنَّ مَا سِوَى ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَوَّضَ الْأَمْرَ فِيهِ إِلَى الْأُمَّةِ بَعْدَهُ"(٣).

وقال ابن حجر: "تَرْتِيبُ بَعْضِ السُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُعْظَمِهَا لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ تَوْقِيفًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مِنَ اجْتِهَادِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ.... ثم ذكر حديث عثمان ثم قال: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ فِي كُلِّ سُورَةٍ كَانَ تَوْقِيفًا وَلَمَّا لَمْ يُفْصِحِ

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٧٩/٩ .
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٧٦/١؛ والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢٢٤/١؛ ومناهل العرفان، الزرقاني، ٣٥٣/١ .
(٣)البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٥٧/١ .

النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرِ بَرَاءَةٌ أَضَافَهَا عُثْمَانُ إِلَى الْأَنْفَالِ اجْتِهَادًا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ"[١].

وقال بعض المعاصرين: "إن ترتيب السور في المصحف بعضه توقيفي - وهو الأقل- والآخر اجتهادي –وهو الأكثر- ومعيار تحديد السور المرتبة توقيفًا هو ما اشتهر من قراءة النبي ﷺ فما وردت قراءته مرتبًا حكم بتوقيف ترتيبه، وما لم يرد مرتبًا حكم باجتهاد الصحابة في ترتيبه، وهذا الرأي فيه جمع وتوفيق بين أدلة المذهبين، وإعمالها أولى من إهمالها، مع التنبيه أن القول بالاجتهاد في الترتيب إنما هو محصور في اجتهاد الصحابة الأوائل الذين جمعوا المصحف واجتمعت الأمة عليه، ولا يجوز الاحتجاج باجتهادهم لتسويغ الاجتهاد في وقتنا المعاصر لإعادة ترتيب سور القرآن"[٢] .

الرأي الراجح:

وبعد عرض الأقوال ومناقشتها، يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات، والذي يظهر من أمر القرآن أن الأصل فيه النقل في كل أموره، في ترتيب سوره وآياته وأسماء سوره وآياته وفضائل سوره وآياته، ليس لأحد في هذه الأمور اجتهاد، وإنما ظهر الاجتهاد فيما بعد فيما يتعلق برسمه، وضبطه، وزخرفته ووضع أسماء سوره، وترقيم آياته.....، وغير ذلك مما أدخله العلماء، وتلقي بالقبول[٣].

وقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات في السور كان بالتوقيف؛ لورود الأحاديث الصحيحة الصريحة وأما بالنسبة للسور فقد ذهب أهل التحقيق قديمًا وحديثًا إلى أن ترتيبها كان بالتوقيف كذلك، وأن الاختلاف فيها غير معتد به، مع اتفاقهم جميعًا على أن ترتيب سور القرآن على ما هي عليه اليوم لا تَحل مخالفتُه؛ لتلقي الأمة له بالقَبول .

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٤٢/٩ .

(٢) ترتيب الآيات والسور في المصحف الشريف: حكمه بين التوقيف والاجتهاد وأثره في أحكام الكتابة والقراءة، علي بن ذريان بن فارس الجعفري العنزي، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، مج١٢ ع٥، ٢٠١٩م، ص٣٥٩١ .

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن ص٧٣-٧٧، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص١٣٩-١٤٥.

المطلب الثاني: موقف دروزة من ترتيب سور القرآن الكريم، الترتيب المصحفي والتفسيري.

لقد بدأت المطالبة بإعادة ترتيب سور القرآن الكريم، وجاءت المحاولات لترتيب سور القرآن، وتلك محاولة تولى كبرها أعداء الإسلام للنيل من قدسية القرآن، حيث دأب المغرضون لتحريف كتاب الله من خلال دعواهم لترتيب سور المصحف على النزول، وتلاوته وكتابته على الترتيب النزولي، وفريق آخر كانت محاولة منهم للتجديد في علم التفسير عن طريق ترتيب التفسير نزولي، وتلك المحاولات لترتيب التفسير على النزول ربما وقع أصحابها في أخطاء وعدم التزامهم بالضوابط لذلك الترتيب في أحيان كثيرة، غير أنهم رفضوا؛ بل وهاجموا المحاولات لترتيب سور المصحف العثماني على النزول.

"فظهرت بدعة معاصرة تولّى كُبرها المستشرقون؛ وهي الدعوةُ إلى إعادة ترتيب سور القرآن وآياته على وفق النزول، متذرعين بعَدد من الحجج والمسوِّغات التي ظاهرها الرحمة والحرص على الفهم الصحيح للقرآن، وباطنها الحقد والتشويه والإلحاد في آيات الله وإسقاطُ التراث وأعلامه، وكان من آثار هذه الدعوة أن تأثَّر عدد من أبناء المسلمين بها؛ فقاموا بمحاولات عديدة لتفسير القرآن وفق نزوله وهم إزاء هذا العمل فريقان: منهم من كانت نيتُه حسنة، ومقصده طيبًا كالمحاولة التي قام بها دروزة، وحسن حبنكة الميداني، ومَّلا حويش ومنهم من كان بوقاً من أبواق المستشرقين، يتَّبعهم حْذَو القُذِة بالقُذِة كمحاولة حسن حنفي والجابري وغيرهم"(١) .

"ففي عصرنا الحاضر كانت هناك مطالبة تجديد للقرآن وتفسيره من جانبين: الأول: إعادة ترتيب المصحف العثماني، فيقرأ حسب النزول، وإعادة طباعته ونشره في العالم الإسلامي، الثاني: تفسير القرآن الكريم وفق النزول لا بحسب ترتيب المصحف العثماني، وإن كانت بذور الفكرة الأولى متقدمة، فقد تصدى لها، وانتصر للقرآن علماء أجلاء كالخطابي والباقلاني وغيرهما إلا أنها كانت على الجانب النظري، ومن باب الجدال والتشكيك من بعض الفرق المخالفة في القرآن الكريم، ودعا لها بعض المعاصرين، وفي العصر الحاضر بدأ الجانب التطبيقي لتفسير القرآن حسب النزول"(٢).

وكان من تلك المحاولات وأولها تفسير محمد عزة دروزة، حيث قام بترتيب تفسيره للقرآن الكريم حسب النزول، وتلك الطريقة المستحدثة في ترتيب التفسير

(١) دعوة المستشرقين لترتيب القرآن وفق النزول ودوافعها وإشكالاتها، محمد رضا حسن الحوري وآخرين، مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مؤتة، مج٣٤ ع٣، ٢٠١٩م، ص٢١٧ .

(٢) تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني: الميداني أنموذجا، دخيل بن عبدالله الدخيل، مجلة البحوث الإسلامية، س٥ ع٣٥، ٢٠١٩م، ص٢٩ .

محاولة من أصحابها للتجديد في التفسير، وظنًا منهم من أن ذلك الترتيب يساعد في فهم كتاب الله عز وجل.

حكم تغيير ترتيب السور في التلاوة:

في هذه المسألة قولان:

القول الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) من القول بكراهة مخالفة ترتيب المصحف في القراءة، واستحباب وندب الترتيب على وفق نظم المصحف، كما أنهم فسروا التنكيس بأن يقرأ بخلاف ترتيب المصحف، وقد ذكروا هذا الحكم في الصلاة، ولم يشيروا – فيما وقفت عليه- إلى القراءة خارج الصلاة؛ إلا أن الإمام النووي – رحمه الله- عمم ذلك سواء كان في الصلاة أو خارجها"[١] .

"وقال العلماء الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها..... ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد المشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة وفي الثانية هل أتى على الانسان....."[٢] .

القول الثاني:

لا يندب مراعاة ترتيب السور ولا تكره مخالفته في القراءة،

قال الباقلاني: "وسائرُ أهل أعصار المسلمين تركَ الترتيب للسور في الصلاة والدرس والتلقين والتعليم"[٣] .

وقال أبو الحسن ابن بطال: "إنا نجد تأليف سورة في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحدًا قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفى القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف"[٤] .

وأما موقف دروزة في ترتيب السور في المصحف:

ذهب دروزة مع الرأي القائل بأن ترتيب سور القرآن في المصحف توقيفي من النبي ﷺ، وفرق بذلك بين الترتيب النزولي للمصحف، حيث منع دروزة ذلك التفسير مشيرًا إلى توقيف ترتيب السور على النبي ﷺ ولا تجوز مخالفته،

(١) ينظر: البحر الرائق، ابن النجيم، ١٠١/٢؛ حاشية الدسوقي ٢٤٢/١ – المجموع، للنووي، ١٨٨/٢؛ كشاف القناع، البهوتي، ٣٤٤/١ .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن – النووي – ٩٨/١.

(٣) الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، ٢٨٠/١.

(٤) فضائل القرآن، ابن كثير، ص٨٣.

وأجاز دروزة الترتيب النزولي للتفسير، وبذلك يكون دروزة فرق بين ترتيب التلاوة النزولي وترتيب التفسير النزولي .

يقول دروزة في تفسيره:

"فالنبي ﷺ الذي لا شك في أن القرآن كان من أهم مشاغله لا يمكن أن يكون قد أهمل ترتيبه، وترك مدوناته مشوشة فوضى لا يعرف لها أول من آخر، سواء في التدوين أو في القراءة والتعليم، ولا بد من أن يكون قد عني بترتيبه نفس العناية الفائقة التي كانت منه بتدوينه وحفظ مدوناته"(١).

ويصرح دروزة أنّ من الدلائل على أنَّ ترتيب السور موقفة على النبي ﷺ، أن القرآن الكريم كان يدون في عهد النبي ﷺ، وذلك من خلال كتاب الوحي، وأن السور والآيات رتبت في عهد النبي ﷺ على ما هي عليه الآن في المصحف، فيقول دروزة:

"إن في القرآن ملهمات تؤيد النتائج التي قررناها، وتوثق الروايات التي تستند إليها، وتدلّ أو تقوم قرينة على أن القرآن كان يدوّن بانتظام ويحفظ بانتظام وإن آياته قد رتبت في السور وسوره قد رتبت في تسلسل في حياة النبي ﷺ، مما يعدّ جديدا في هذا الباب لم نطلع على مثله"(٢) .

ومما جاء أيضًا عن دروزة على أن القرآن ترتيبه موقف على النبي ﷺ قوله:

"ومن النقاط المهمة الجديرة بالتنبيه في هذا المقام أنه لم يرد أي حديث منسوب إلى النبي ﷺ أو أصحابه المعروفين يمكن أن يفيد أن القرآن لم يكن مرتب الآيات والسور ومعروف الترتيب في حياة النبي ﷺ، وكل ما جاء في هذا الباب تعليقات وتخمينات متأخرة"(٣) .

وبذلك يكون دروزة ذهب مع الرأي القائل بأن ترتيب سور القرآن في المصحف توقيفي من النبي ﷺ، كما رد كل ما جاء في أن ترتيب سور القرآن اجتهادي من الصحابة الكرام.

(١) التفسير الحديث، دروزة، ٩٠/١ .
(٢) التفسير الحديث، دروزة، ٩٩/١ .
(٣) التفسير الحديث، دروزة، ٩٣/١ .

المبحث الثاني: الترتيب النزولي لتفسير دروزة في الميزان

المطلب الأول:
الترتيب الذي اعتمد عليه دروزة في ترتيب السور

صرح الاستاذ دروزة بأنَّه اعتمد في ترتيب السور على النزول مصحف الملك فؤاد الذي كتبه الخطاط الشهير بقدور أوغلي، فقال:

"في صدد ترتيب نزول السور إننا اطلعنا على عدة ترتيبات، منها ترتيب المصحف الذي اعتمدناه ونعني مصحف قدور أوغلي، ومنها ترتيب للسيوطي استند فيه إلى ما اعتمده من الروايات، ومنها ترتيب في تفسير الخازن وآخر في تفسير الطبرسي، وثلاثة أخرى أوردها السيوطي في (الإتقان) منسوبة إلى الحسن وعكرمة وابن عباس وجابر، وبين هذه الترتيبات تخالف يسير أو كبير، مع التنبيه على أن مضامين بعض السور المكية والمدنية تسوغ التوقف في ترتيبها الوارد في هذه الترتيبات، وتحمل على القول إنها لا تمثل الحقيقة تمثيلاً صادقًا، وإنه ليس هناك ترتيب يثبت على النقد والتمحيص بكامله أو يستند إلى أسناد وثيقة متصلة بالعهد النبوي"[١] .

ولم يكلف دروزة نفسه للتأكد من موافقة ترتيب مصحف قدور أوغلي لإحدى الروايات التي وردت في ترتيب النزول، والواضح أن دروزة اعتمد على مصحف قدور أوغلي لوثوقه في اللجنة التي أشرفت على طباعة مصحف قدور، والذي اتضح أن هذا الترتيب الذي اعتمده دروزه لا يوافق ترتيب أي رواية من الروايات التي وردت في ترتيب السور على النزول، فهو ترتيب جمع بين التلفيق بين الروايات، وبين المخالفة لها جملة، كما أن دروزة لم يلتزم أيضًا بترتيب نزول السور وفق مصحف قدور الذي اعتمده؛ بل غير في هذا الترتيب الملفق، وجاء بترتيب جديد من اجتهاد غير منضبط لديه.

ويشير ابن بطال إلى ذلك فيقول في شرحه للبخاري: "ومما يدل أنه لا يجب إثبات القرآن في المصاحف على تاريخ نزوله؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يجعلوا بعض آية سورة في سورة أخرى وأن ينقضوا ما وقفوا عليه من سياقه ترتيب السور ونظامها؛ لأنه قد صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فيؤمروا بإثباتها في السورة المكية، ويقال لهم: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا ألا ترى قول عائشة: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، يعنى بالمدينة، وقد قدمتا في المصحف على ما نزل قبلهما من القرآن بمكة، ولو ألفوه على تاريخ النزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السور"[٢] .

---

(١) التفسير الحديث، دروزة، ١٢٥/٦ .

(٢) شرح ابن بطال لصحيح البخاري، ٢٤٠/١٠ .

ومع ذلك فقد اعتمد دروزة على ترتيب قدورة، ثم خالف الترتيب في بعض السور، فلقد وضع أول سورة نزولاً من السور المكية "سورة الفاتحة" ليخالف بذلك مصحف قدور أوغلي في الترتيب، ويشذ أيضًا عن كل الروايات التي قالت بأن سورة العلق أول السور نزولاً من المكي، ومع أن دروزة يرى أن الفاتحة ليست أول ما نزل، وذلك لما ورد من روايات صحيحة بذكر أولوية مطلع سورة العلق في النزول، لذلك برر عمله بتصدير سورة الفاتحة في تفسيره بقوله:

"فيمكن أن تحمل رواية أولية سورة الفاتحة على أنها أولى السور التامة نزولاً بعد مطلع سورة العلق، ومطالع السور الثلاث التالية لها في الترتيب والفاتحة؛ بالإضافة إلى ذلك هي فاتحة المصحف، والواجب تلاوتها في كل ركعة صلاة، ولذلك رأينا أن تكون فاتحة التفسير أيضًا"[١] .

وجاء ترتيب السور على حسب النزول كما في الاتقان:

السور المكية:

(١) اقرأ (٢) ن (٣) المزمل (٤) المدثر (٥) تبت (٦) الشمس (٧) الأعلى (٨) الليل (٩) الفجر (١٠) الضحى (١١) ألم نشرح (١٢) العصر (١٣) العاديات (١٤) الكوثر (١٥) التكاثر (١٦) الماعون (١٧) الكافرون (١٨) الفيل (١٩) الفلق (٢٠) الناس (٢١) الإخلاص (٢٢) النجم (٢٣) عبس (٢٤) القدر (٢٥) الضحى (٢٦) البروج (٢٧) التين (٢٨) قريش (٢٩) القارعة (٣٠) القيامة (٣١) الهمزة (٣٢) المرسلات (٣٣) ق (٣٤) البلد (٣٥) الطارق (٣٦) الساعة (٣٧) ص (٣٨) الأعراف (٣٩) الجن (٤٥) يس (٤١) الفرقان (٤٢) الملائكة (٤٣) مريم (٤٤) طه (٤٥) الواقعة (٤٦) الشعراء (٤٧) النمل (٤٨) القصص (٤٩) بني اسرائيل (٥٠) يونس (٥١) هود (٥٢) يوسف (٥٣) الحجر (٥٤) الأنعام (٥٥) الصافات (٥٦) لقمان (٥٧) سبأ (٥٨) الزمر (٥٩) المؤمنون (٦٠) السجدة (٦١) الشورى (٦٢) الزخرف (٦٣) الدخان (٦٤) الجاثية (٦٥) الأحقاف (٦٦) الذاريات (٦٧) الغاشية (٦٨) الكهف (٦٩) النحل (٧٠) نوح (٧١) إبراهيم (٧٢) الأنبياء (٧٣) المؤمنون (٧٤) السجدة (٧٥) الطور (٧٦) تبارك (٧٧) الحاقة (٧٨) المعارج (٧٩) النبأ (٨٠) النازعات (٨١) الانفطار (٨٢) الانشقاق (٨٣) الروم (٨٤) العنكبوت (٨٥) المطففين.

السور المدنية:

(٨٦) البقرة (٨٧) الأنفال (٨٨) آل عمران (٨٩) الأحزاب (٩٠) الممتحنة (٩١) النساء (٩٢) الزلزلة (٩٣) الحديد (٩٤) القتال (٩٥) الرعد (٩٦) الرحمن (٩٧) الإنسان (٩٨) الطلاق (٩٩) البينة (١٠٠) الحشر (١٠١) النصر (١٠٢) النور (١٠٣) الحج (١٠٤) المنافقون (١٠٥) المجادلة (١٠٦) الحجرات (١٠٧)

(١) التفسير الحديث، دروزة، ١٧/١

التحريم (١٠٨) الجمعة (١٠٩) التغابن (١١٠) الصف (١١١) الفتح (١١٢) المائدة (١١٣)[١]

وقد خالف دروزة الترتيب الذي اعتمد عليه، سواء ترتيب قدور أوغلي أو الإمام السيوطي أو الخازن أو الطبرسي رحمهم الله وذلك بتقديمه لسورة (الفاتحة) في تفسيره مخالفًا بذلك كل ما اعتمد عليه في ترتيب القرآن نزوليًا، حيث لم يبدأ بسورة الفاتحة في الترتيب النزولي سوى دروزة في تفسيره.

المطلب الثاني:
المآخذ التي أخذت على ترتيب دروزة النزولي في تفسيره.

هناك مآخذ عديدة أُخذت على تفسير محمد عزة دروزة، وكذلك على كل لون من هذا التفسير، والذي يسير على ترتيب التفسير حسب تاريخ النزول، فاستحالة محاولة الإتيان بترتيب للقرآن على وفق النزول؛ وذلك لأسباب منها: عدم وجود روايات صحيحة تضبط لنا تاريخ النزول لكل سورة، كما أنّ السور معظمها نزل منجمًا، ومن تلك السور ما استمر نزوله لسنوات كسورة البقرة....إلخ، لذا هذا الترتيب النزولي للقرآن في التفسير به مأخذ عليه، ومن تلك المآخذ:

أولاً: تغيير دروزة للرواية التي اعتمد عليها في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، وهذا التغيير لا يثبت على النقد، لا سندًا ولا متنًا، ولا يصلح للاحتجاج به، فلم يلتزم دروزة بترتيب رواية معينة، إنما اعتمد على ترتيب ملفق من عدة روايات، كما أن دروزة غير في هذا الترتيب حسب ما أداه إليه اجتهاده.

"فإن ترتيب النزول الذي ذكر في مصحف الخطاط قدور أوغلي، الذي اعتمده الأستاذ دروزة في تفسيره لا يوافق أي رواية من روايات النزول التي تم الوقوف عليها، فهو ترتيب جمع بين التلفيق بين الروايات، وبين المخالفة لها جملة"[٢].

ثانيًا: أن ترتيب النزول في تفسير دروزة له من النواقض مما ورد في الروايات الصحيحة ما يفقد الثقة به، ومن ذلك البدء بسورة الفاتحة في تفسيره، ليخالف بذلك الروايات الصحيحة القائلة بأن سورة (العلق) أول ما نزل.

فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٥١/١- ٥٣ .
(٢)تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، ص١٨٤ .

الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾[١]،فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ.....)[٢] .

إلي غير ذلك من الروايات الصحيحة القائلة بأن سورة العلق أول ما نزل، وقد خالف دروزة تلك الروايات الصحيحة، وصدر تفسيره بسورة الفاتحة، مبررًا صنيعه ذلك بمبررات اجتهادية من عنده، مناقضًا بذلك الروايات الصحيحة في أول ما نزل من القرآن، فقال دروزة في تفسيره:

"ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزّمل إلى أن تنتهي السور المكّية، ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية؛ لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدقّ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل"[٣] .

ثالثًا: الترتيب الذي انتهجه دروزة في تفسيره ربما يؤدي إلى نتائج غير صحيحة في بعض الأحيان، بسبب تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، وجعل المكي مدنيًا، والمدني مكيًا.....إلخ.

فقال الباقلاني: "ثم يقالُ لهم: ما المانع مِن أن يكونَ اللهُ سبحانَه قد علِمَ أن مصلحَة عبادِه متعلقةٌ بتقديمِ بعضِ المدني على المكي أو جمعَه في الرَّسمِ والتأليفِ والتَلاوة، وتقديمِ التأليفِ النَاسخِ كلهِ قبلَ المنسوخِ أو بعضِه، وأن نظمَه وتَأليفَه على غير هذا الوجه، وأخذِهم بتلاوته كذلكَ مفسدةٌ لهم ولطفٌ في عصيانِهم وخلافِهم وعدولِهم عن الحقِّ والعملِ به والتصديقِ لموردِه، فإن حاوَلوا ذكرَ حجة في هذا الباب، لم يجِدوها، وإن مرُّوا على إجازةِ ما سألناهُم عنهُ أبطلوا دليلَهم بُطلانا ظاهرًا"[٤] .

"وأن ما أراده أصحاب الترتيب على النزول من متابعة مراحل التنزيل، ومعرفة المتقدم من المتأخر، ومعرفة مراحل التدرج التشريعي غير متحقق؛

(١)سورة العلق: الآية ١ ـ ٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم الحديث ٣، ٧/١؛ ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، رقم الحديث ٢٥٢ ـ (١٦٠)، ١٣٩/١ .

(٣) التفسير الحديث ٩/١ .

(٤) الانتصار للقرآن، الباقلاني، ٥١٧/٢ .

للتداخل القائم في نزول السور، فعدد من السور لم تنزل فصولها متتابعة، كسورة البقرة نزل أولها في أول العصر المدني، ونزل آخرها قبل وفاة النبي ﷺ بليال، وتخلل بين نزول أولها وآخرها نزول عدد من السور المدنية، وسورة آل عمران.....إلخ"[١] .

رابعًا: الطَّعن في مفسري الأمة بالادعاء أن الترتيب النزولي يعين على فهم القرآن وتفسيره، وأن المفسرين لم يفهموا القرآن بصورة صحيحة؛ لاتباعهم الترتيب المصحفي وعدم اعتمادهم الترتيب النزولي، فقال مبرراً ترتيبه:

".....أنّ الترتيب الحالي، يحقق الأسلوب الأمثل، والفهم الأفضل، وانسجام القارئ وتدبره وتجلية حكمه التنزيلية خير شاهد منذ عصر النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وقد استلهم العلماء بعض المؤلفات من هذا التسلسل والانسياق ما تحار فيه الألباب، ومن ذلك كتاب البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي وغيرها مما بث في كتب التفسير"[٢] .

خامسًا: ادعاء دروزة على العلماء بأنهم رتبوا سور القرآن على حسب أطوالها، بحيث يبدأ المصحف بالسور الطوال ثم المئين ثم المثاني، مخالفًا بذلك رأيه القائل بتوقيف ترتيب السور، مدعيًا أن علماء القرآن قالوا بذلك، فقال:

"أن علماء القرآن قالوا إن ترتيب سور القرآن في المصحف قد جاء حسب أطوالها، حيث قدمت السور المسماة بالطوال ثم ما عرف بالمئين- أي التي عدد آياتها في حدود المائة تزيد قليلاً أو تنقص قليلا- ثم ما عرف بالمثاني ثم ما عرف بالقصار ثم ما عرف بالمفصل أي القصار جدًا"[٣] .

وقال عند حديثه على سورة البقرة:

"والمجمع عليه أن تفوقها على غيرها في عدد الآيات والحيز من أسباب وضعها في أول المصحف بعد سورة الفاتحة التي وصفت بأنها مفتتح القرآن وبراعته الاستهلالية على ما شرحناه في سياق تفسيرها"[٤] .

"فإن ترتيب سور القرآن في المصحف قد جاء حسب أطوالها.....، وكان دليله على ذلك بالعزو إلى كتاب الاتقان بتقسيمه لسور القرآن إلى طوال ومئين ومثاني"[٥].

---

(١) تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، ص١٧١.

(٢) تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني: الميداني أنموذجا، الدخيل، ص٤٧ .

(٣) التفسير الحديث، دروزة، ١٢٥/٦ .

(٤) التفسير الحديث، دروزة، ١٢٥/٦ .

(٥) هذه شبهة استشراقية تم الرد عليها: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، د.فضل حسن عباس، ص٣٥ .

"ففي ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة؛ ليكون ذلك أعون على التلاوة، وأسهل في الحفظ، فالناس يبدؤون بقراءته من أوله، فيكون الانتقال من السبع الطوال إلى المئتين، فالمثاني، فالمفصل أنفى للمَلَل، وأدعى للنشاط، ويبدؤون بحفظه من آخره؛ لأنه أسهل على الأطفال، ولأنه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في مقدار الطول والقصر"(١) .

سادسًا: إن فتح باب إعادة ترتيب السور وفق نزولها قد يؤدي إلى فتح باب آخر أشد خطرًا على كتاب الله العزيز، وهو أن ينبري بعض المتطفلين على القرآن فيطالبوا بإعادة ترتيب الآيات وفق نزولها، وفي ذلك من التحريف والتشويه لنظم القرآن، وافساد حسن ترتيبه ورصف آياته، ما لا يقول به إلا جاهل ببيان القرآن وإعجازه، أو ماكر يريد أن يأتي على بنيان الإسلام وأركانه(٢).

سابعًا: "كما أن فائدة الترتيب المزعوم، تبعث على إفساد نظم القرآن، وذهاب رونقه، ولذّة تدبره، والتعبد في البحث عن الروابط بين سوره، فلو أن كل من عقل شيئا من العلم أراد ترتيب القرآن وفق هواه، لما عدنا نجد القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي ﷺ، ولتحصل لدينا مجموعة من اللآلئ لا يلظمها خيط ولا تفصلها فرائد، وهذا خلاف حكمة العليم الخبير الذي قال: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾(٣) "(٤) .

ثامنًا: مخالفة إجماع الأمة على ترتيب سور القرآن الكريم بعد جمع عثمان بن عفان، فلقد أجمع صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم الأمة بأجيالها المتعاقبة على ترتيب المصحف بهذا الشكل، على اختلاف هل كان هذا الترتيب توقيفياً أو اجتهادياً ثم أجمعت الأمة عليه، ولم يفرقوا في هذا الترتيب بين التلاوة وبين التفسير" (٥).

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ١٨٥/٨

(٢) دعوة المستشرقين لترتيب القرآن وفق النزول ودوافعها وإشكالاتها، محمد رضا حسن الحوري وآخرين، ص٢٣٣- ٢٣٩.

(٣) سورة هود: الآية ١ .

(٤) تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده)، محمد مجلي أحمد ربابعة، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلّد ٣٧ ،العدد ١ ،٢٠١٠م، ص٢٦٣.

(٥) التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، د. مصطفى مسلم، ص١٦١ .

وذكر دروزة في تفسيره ثلاث روايات وأقوال في جمع القرآن[١] :

القول الأول: "تفيد أن النبي ﷺ توفي ولم يكن القرآن قد جمع في شيء، وإن جمعه وترتيبه إنما تمّا بعد وفاته ﷺ ....." .

القول الثاني: "إن هناك روايات كثيرة عن وجود اختلاف في ترتيب مصاحف بعض الصحابة، وعن كلمات زائدة كتبت في بعض المصاحف ولم تكتب في المصحف المتداول وعن آيات كانت تقرأ ولم تكتب كذلك هي هذا المصحف مما يفيد أن النبي ﷺ توفي ولم يكن القرآن قد جمع ورتب".

القول الثالث: "أحاديث وروايات وأقوال يستفاد منها أن القرآن كان يدون وترتب آياته وسوره في حياة النبي ﷺ وبأمره، وأن ترتيب المصحف العثماني متصل بعهد النبي ﷺ وتوقيفه" .

(١) التفسير الحديث، دروزة، ٦٧/١ .

المبحث الثالث
مباحث من علوم القرآن التي تأثرت بفكرة الترتيب النزولي عند دروزة.
المطلب الأول:
أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على المكي والمدني.

مفهوم مصطلح المكي والمدني:
اختلف العلماء في تحديد مصطلح المكي والمدني، وذلك في إطار الزمان والمكان والمخاطب على ثلاثة أقوال(١):
التعريف الأول: أن المكي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهذا التعريف روعي فيه الزمان.
التعريف الثاني: أن المكي ما نزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي ﷺ بمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا كالمنزل عليه في بدر وأحد وسلع.
التعريف الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة وهذا التعريف لوحظ فيه المخاطبون .

سمات السور المكية والمدنية عند دروزة:
حدد الأستاذ دروزة سمات القرآن المكي والمدني في تفسيره، ووضح بأن تلك السمات تساعد على معرفة السور المدنية من السور المكية، وتلك السمات ساعدة دروزة من ترجيح مكية السور من مدنيتها والعكس، وذلك عند اختلاف الروايات في المكي والمدني.
فقال دروزة:
"وعلى ضوء هذه المميزات ومع استلهام المضمون والسياق أمكننا ترجيح مكية سور الرعد والحج والرحمن والإنسان والزلزلة التي يذكر مصحف قدور أوغلي وغيره مدنيتها، وأمكننا كذلك ترجيح مكية ومدنية السور القصيرة الأخرى التي اختلفت الروايات فيها، وترجيح احتمال تقدم بعض السور المتأخرة وتأخر بعض السور المتقدمة، وترجيح مكية آيات ذكرت الروايات أنها مدنية في سور مكية ومدنية آيات ذكرت الروايات أنها مكية في سور مدنية مما نبهنا عليه في سياق التفسير الكامل"(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٨٧/١ ــ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٧/١-٣٨ .
(٢) التفسير الحديث، دروزة، ١٢٨/١ .

فأمّا سمات السور المكية عند دروزة:

أولاً: تنحو في الأغلب نحو التسجيع والتوازن.

وثانيًا: تتكثف فيها الدعوة إلى الله وإثبات استحقاقه وحده للخضوع والعبادة ومحاربة الشرك وكل ما يتصل به وتعنيف الكفار وتقريعهم بسببه .

وثالثًا: إن أسلوبها المتصل بالدعوة إلى المكارم الاجتماعية والروحية والإنسانية وبالتحذير من الآثام والفواحش أسلوب دعوة وحض وتشويق وتنديد وتنويه.

ورابعًا: إن القصص ومشاهد الآخرة والحديث عن الملائكة والجن وحكاية أقوال الكفار وجدلهم وافتراءاتهم ونسبهم المختلفة للنبي قد كثرت وتكررت.

وخامسًا: إن وحدة الموضوع في السور الطويلة والمتوسطة فضلاً عن القصيرة ملموحة في كل سورة منها تقريبًا.

وسادسًا: إن تلاحق الفصول والسياق جدلاً وحكاية وإنذارًا وتبشيرًا ووعدًا ووعيدًا وتدعيمًا وتمثيلاً وتذكيرًا وقصصًا وتطمينًا وتوجيهًا وتلقينًا، وبرهنة ملموح كذلك في كل سورة منها تقريبًا، وفي السور المكية تبرز مبادئ الدعوة القرآنية قوية واضحة .

"وكذلك ومن مميزات الأسلوب المكي اللهجة الخطابية القوية النافذة إلى الأعماق والقارعة للأسماع والقلوب واللهجة التي يذكر بها اليهود خاصة، حيث خلت من التقريع والتعنيف والجدل والأخذ والرد، وتلك الصور الجحودية والإزعاجية والتشكيكية والدسية الواردة عنهم في القرآن المدني واللهجة المحببة الاستشهادية التي يذكر بها الكتابيون، وأولوا العلم كأنما هم حزب المسلمين والدعوة النبوية، والأسلوب المكي يغلب فيه وصايا الصبر والتطمين والتسكين، وعدم المبالاة بمواقف الكفار، كما أنه خلا من الحض على الجهاد ووقائع الجهاد، وخلا كذلك من ذكر المنافقين ومواقفهم ودسائسهم والحملات القاصمة عليهم"[١].

أما سمات السور المدنية عند دروزة:

القرآن المدني فالسجع فيه قليل بل نادر، وطول نفس الآيات غالب، ونقل فيه فصول القصص ووصف مشاهد الآخرة والجن والملائكة والجدل ووصف مشاهد الكون أو تقصر ويكتفى من ذلك بالتذكير والإشارات الخاطفة، وتصطبغ فيه المبادئ والتكاليف التعبدية والأخلاقية والاجتماعية والقضائية والسلوكية بصبغة التقنين والتقعيد، وفيه تشريع الجهاد ووقائعه وظروفها، وفيه إبطال عادات وتقاليد قديمة، وإقرار عادات وتقاليد قديمة أخرى مع الإصلاح والتهذيب، وإنشاء عادات وتقاليد جديدة في سبيل الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي، وفيه صور النفاق والمنافقين ومواقفهم، ولهجته عن اليهود لهجة شديدة في الدعوة والتعنيف والتنديد

(١) التفسير الحديث، دروزة، ١/١٢٧-١٢٨.

وفيه صورة عن مواقفهم وأحوالهم، وفيه الاستفتاءات والأسئلة القضائية والاجتماعية والأخلاقية والأسروية وأجوبتها التشريعية،[١].

مصحف قدور أوغلي الذي اعتمده دروزة جعل سورة الزلزلة والإنسان والحج والرحمن والرعد في عداد السور المدنية، بينما يرى دروزة أنها مكية فيقول: (وتروى روايات عديدة أنها مكية وتلهم محتوياتها بقوة رجحان مكيتها.....)[٢] .

فمقولته تلك السابقة تحتاج لوقفه، فما رجحه من مكية هذه السور بعضه صواب، وبعضه فيه نظر:

فسورة الزلزلة: ذهب إلى القول بمدنيتها ابن عباس ومقاتل وقتادة وهو قول الجمهور من المفسرين كالطبري"[٣] .

ورجح مدنيتها ابن عطية حيث قال: "هي مدنية، لأن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة"[٤].

ورجح السيوطي مدنيتها، واستدل على كَوْنِهَا مَدَنِيَّةً:

"بِمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[٥]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَرَاءٍ عَمَلِي"، وَأَبُو سَعِيدٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْلُغْ إِلَّا بَعْدَ أُحُدٍ"[٦] .

فيلاحظ أن دروزة لا يعتمد في قبوله ورده للمكي والمدني واستثناءاته على الرواية، إنما يعتمد في كثير من الأحيان على النظر والفهم فحسب.

المطلب الثاني:
أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على أسباب النزول.

المقصود بسبب النزول:

وردت عدة تعريفات لسبب النزول منها:

عرف السيوطي سبب النزول: "ما نزلت الآية أيام وقوعه"[٧].

(١) التفسير الحديث، دروزة، ١٢٨/١.
(٢) التفسير الحديث، دروزة، ١٩/١.
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ٥٥٨/٢٤.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية، ٥١٠/٥.
(٥)الزلزلة: ٧ - ٨
(٦) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي٥٤/١.
(٧)الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٠١/١ .

وقال الزرقاني: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه"[١].
وقال د. المزيني في تعريف أسباب النزول: "كل قول أول فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه"[٢].

رد دروزة لأسباب النزول لعدم توافقه مع ترتيبه للسور:

لقد عارض دروزة أسباب النزول التي لا تتوافق مع ترتيبه للسور، وخالف ربما روايات صحيحة في سبب النزول، وعارض أيضًا جمهور المفسرين، وذلك لكي يسوق للقارئ أدلة على صحة ترتيب تفسيره، ويجتهد في إيراد سبب نزول، ومن المعلوم أن سبب النزول يكون بالرواية الصحيحة لا اجتهاد فيها.

مثال على مخالفة دروزة للمفسرين في سبب النزول:

في تعليق دروزة على أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[٣].
قال دروزة: "روى الطبري وابن كثير والخازن والبغوي أن الآيات نزلت بمناسبة اعتراض الكفار حين نزلت آية سورة الأنبياء هذه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[٤]، بقولهم كيف يكون هذا ومن المعبودين عيسى وهو من أنبياء الله"[٥].

وقال الخازن: "قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٨٩/١ .
(٢)المحرر في أسباب النزول، المزيني، ١٠٥/١ .
(٣) سورة الزخرف: الآية ٥٧ – ٥٩ .
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.
(٥)التفسير الحديث، دروزة، ٥١٦/٤ .

تعالى:﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[١] "[٢].

وذكر ابن كثير القصة كاملة في سبب نزول الآيات: " جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[٣]، ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى التَّمِيمِيُّ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُه، سَلُوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزِّبَعْرَى، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[٤]، أَيْ: عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَمَنْ عُبِدَ مَعَهُمَا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَنَزَلَ فِيمَا يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥]، ونزل فِيمَا يُذْكَرُ مَنْ أَمْرِ عِيسَى وَأَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ"[٦].

وساق الطبري في أسباب نزول هذه الآيات أكثر من سبب، ومن أسباب النزول التي ساقها لتلك الآيات: "لما ذكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحبَّت

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ١١١/٤ .
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠١ .
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ .
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٣٤/٧ .

النصارى عيسى، وقال آخرون: بل عنى بذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾[١]، قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعُزَير والملائكة، لأن كل هؤلاء مما يعبد من دون الله، قال الله عزّ وجلّ:﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٢]، وقالوا: أآلهتنا خير أم هو؟ "[٣].

وتلك الروايات وغيرها لأسباب النزول ردها دروزة وذلك لعدم توافقها مع ترتيبه للتفسير فقال:

"والرواية لم ترد في كتب الصحاح ونحن نشك فيها أو على الأقل في كونها سبب نزول هذه الآيات لأن المناسبة بينها وبين ما قبلها قائمة ولأن روح الآيات تلهم أن ما فرضناه هو الأكثر وجاهة، ولأن مقتضى الرواية أن تكون آية سورة الأنبياء هي السابقة في النزول مع أن الواقع هو عكس ذلك"[٤].

مثال على رد دروزة للرواية الصحيحة في أسباب النزول:

ومن الأمثلة التي تناولها دروزة مجتهدًا في ترتيبها، وأنه لم يوفق للصواب فيها باجتهاده، ورده لما صح من الرواية في النزول، ومحاولته للتوفيق بين الرواية الصحيحة الصريحة في نزول سورة (المسد) وما بلغه اجتهاده، حيث قال:

ولقد روى الشيخان والترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَـــزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٥] ، وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَـــامَ، فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾[٦]" [٧] .

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٧ ــ ٥٩ .
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٦٢٤/٢١ .
(٤)التفسير الحديث، دروزة، ٥١٦/٤ .
(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤
(٦) سورة المسد: الآية ١
(٧) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣]، رقم الحديث ٤٩٧١، ١٧٩/٦.

وإلى هذا الحديث الذي أورده أيضًا الطبري والمفسرون الآخرون رووا روايات أخرى كسبب نزول السورة منها «أنّ النبي ﷺ لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ جمع أقاربه فدعاهم إلى الإسلام فقال له أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا دعوتنا؟» ومنها: «أن أبا لهب قال للنبي ﷺ: ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: كما يعطى المسلمون، فقال: ما لي عليهم فضل، قال: وأيّ فضل تبتغي؟ قال: تبًا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء فأنزل الله سورة تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ»(١).

فمع صراحة النصوص في سبب نزول سورة (المسد)، وفي تقديم آية سورة الشعراء على المسد، وصحتها وقد وردت في البخاري ومسلم، فإن عزة دروزة في تفسيره أنكر أسباب نزول سورة المسد واعترض على روايات نزولها رغم ورود من تلك الروايات عند البخاري ومسلم .

فيقول دروزة في تفسيره:

"نلحظ في صدد الرواية الأولى والثانية أنهما تقتضيان أن تكون سورة المسد نزلت بعد سورة الشعراء التي منها آية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾(٢) مع أن الروايات مجمعة تقريبًا على وضع سورة المسد كسادس سورة أو خامس سورة في ترتيب النزول، بينما تأتي سورة الشعراء كرابعة وأربعين أو خامسة وأربعين في هذا الترتيب؛ أي أنها نزلت بعد سورة المسد بثلاث سنين على الأقل، وروح آية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ تلهم أنها لم تنزل مبكرة لذلك فنحن نتوقف في الروايات"(٣) .

المطلب الثالث:
أثر الترتيب النزولي للتفسير عند دروزة على المناسبات.

المناسبة لغة:

المناسبات جمع مناسبة، وهي المشاكلة والمقاربة؛ قال الإمام ابن فارس(ت١٨٥هـ): "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به تقول: نسبت أنسب وهو نسيب فلان،

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٧١٤/٢٤ - اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ٥٥١/٢٠ –الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٣٥/٢٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤

(٣) التفسير الحديث لدروزة، ٤٩٦/١.

ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها، ولا يكون إلا في النساء تقول منه: نسبت أنسب والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض"[١].

فالمناسبة في اللغة من: "النَّسب وهو القرابة، ونسيبه: أي قريبه، والنّسيب: هو المناسب، وتقول ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة[٢].

المناسبة في القرآن:

"تطلق على وجوه متعددة من الارتباط القائم بين السور والآيات، كارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفقا لترتيب التلاوة في المصحف العثماني، وارتباط مطالع السور بخواتمها، وارتباط كل آية بما قبلها وما بعدها"[٣].

علم المناسبات بين السور عند دروزة:

فمن ثمار المناسبة بين السور الكشف عن سر من أسرار إعجاز هذا الكتاب العزيز، فتناسق وترابط كل سورة بما قبلها وما بعدها وجه من وجوه الإعجاز.

ويقول دكتور حسن عتر مبينًا أثر المناسبات القرآنية في إضفاء جمال الإعجاز على كتاب الله: "فإذا لاحظت أن كلمات الآية الواحدة رائعة التجانس والتجاذب، وأن آيات السورة الواحدة متينة التشابك والترابط، وأن سور القرآن متناسقة متناسبة، أدركت يقينا أن الذكر الحكيم كتاب إلهي كامل، بديع الســـمت: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤]، وتجلى لك سبيكة واحدة، تأخذ بالأبصار، وتستحوذ على القلوب والأفكار[٥].

فمن الإعجاز القرآني الترابط والتناسب بين سوره، فسور القرآن الكريم مرتبطة ببعضها، والقول القائل بأن ترتيب السور توقيفي، ويجب اتباع ذلك الترتيب في المصحف والتفسير، فذلك القول هو الذي يستند للقول بوجود مناسبات بين السور.

"فأهم المداخل إلى تدبر القرآن الكريم، ومعرفة معانيه، والتحقق من وجوه إعجازه الاطلاع على مناط ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره؛ حيث إنه لا يتحقق الإعجاز البياني للقرآن الكريم إلا بهذا الترتيب، حتى توجه بعض المفسرين إلى تفسير القرآن على ترتيب النزول، كما أن معرفة أسباب نزول الآيات ومناسباتها

(١)معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نسب)، ٢٢٣/٥ .

(٢)ينظر: مختار الصحاح، الرازي، ص٦٥٦ – المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ٢/ ٩١٦.

(٣)مباحث في التفسير الموضوعي، د/مصطفى مسلم، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥٨ .

(٤) سورة الزمر: الآية ٢٨ .

(٥)المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، مكتبة الشارقة مكة، ١٩٨٩م، ص٦٢ .

يعتمد بسور كبيرة على ترتيب الآيات في السورة الواحدة، وترتيب السور بين بعضها حسب ترتيب المصحف"[١].

"والذي يتأمل المناسبات القائمة بين السور وفق ترتيب المصحف، التي أبرزها العلماء بقدح زناد الفكر والفهم، يجد فيها إبرازا للتماسك القوي القائم بين السور، من حيث اللفظ والمعنى والموضوع والمحور العام، مما لا تجده بين السور وفق ترتيب النزول، وهذا الأمر يكاد يجعلنا نجزم بالقول بأن ترتيب المصحف هو توقيفي من الله تعالى"[٢].

فالمناسبات عند دروزة، لن نجد عنده اهتمامًا وذكرًا للتناسب بين السور على ترتيب المصحف، وذلك لأنه رتب تفسيره على النزول، فحاول إثبات وجود بعض وجوه التناسب بين السور على وفق ترتيب النزول، واعتبر ذلك قرينة على صحة ترتيبه لتفسيره على النزول، وحاول في مواضع الاستدلال على صحة ترتيب النزول عن طريق المناسبات ومن ذلك:

نزول سورة الأعراف بعد سورة ص، حيث قال:

"وهي أولى السور التي تبتدئ بأكثر من حرف منفرد واحد، وهي أطول السور المكية؛ بل هي ثالثة السور القرآنية طولاً، والسلسلة القصصية فيها أطول السلاسل القصصية في السور الأخرى، مما ينطوي فيه صورة من صور التطور الذي اقتضته حكمة التنزيل، وقد ينطوي فيه كذلك قرينة على صحة نزولها بعد السورة السابقة، وفصول السورة متساوقة منسجمة تلهم أنها نزلت فصولاً متلاحقة، والمصحف الذي اعتمدناه يذكر أن الآيات [١٦٣- ١٧٠] مدنية وجمهور المفسرين يؤيدون ذلك، وأسلوب الآيات ومضمونها يلهمان صحة الرواية، وسياقها السابق واللاحق متساوق معها حيث يبدو في ذلك حكمة إضافتها إلى هذه السورة، وفيه كذلك صورة من صور تأليف السور القرآنية"[٣].

واستدل أيضًا على صحة ترتيبه بوضع سورة الأعراف بعد سورة ص بقوله:

"تعليق على قصة آدم وإبليس في هذه السورة، والقصة هنا أكثر إسهابًا منها في السورة السابقة، ولعل من السامعين من طلب الاستزادة فاقتضت حكمة التنزيل هذا الإسهاب، أو لعلّ ذلك كان بسبب استمرار الكفار في جحودهم وعنادهم، وربما كان ذلك قرينة على صحة ترتيب نزول هذه السورة بعد سورة (ص)"[٤] .

وكذلك استدلال دروزة على صحة ترتيبه بوضع سورة الفرقان بعد سورة يس من خلال علم المناسبة فقال:

---

(١) المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، عبد الله الخطيب - مصطفى مسلم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مج٢ ع٢، ص٣٢ .

(٢) تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، ص٣٥٣.

(٣) التفسير الحديث، دروزة، ٣٦١/٢ .

(٤) التفسير الحديث، دروزة، ٣٦٧/٢ .

" وبين موضوعاتها وموضوعات السورة السابقة شيء غير يسير من التشابه والتساوق مما يمكن أن يكون قرينة على صحة ترتيب نزولها بعدها، ونظم السورة مسجع وموزون أكثر منه مرسلاً، وفصولها مترابطة، وهذا وذاك مما يسوغ القول بوحدة نزولها أو تلاحق فصولها في النزول"[١].

واستدل بصحة ترتيب سورة طه بعد سورة مريم بقوله:

" وفي فاتحة السورة ما يمكن أن يكون قرينة على صحة نزولها بعد سورة مريم"[٢].

وفي أول تفسيره لسورة النمل التي جاءت في الترتيب بعد سورة الشعراء قال:

" وهي مشابهة في المطلع والنهاية والفصول القصصية الاستطرادية للسورة السابقة مما يمكن أن يكون فيه قرينة على صحة الترتيب....."[٣] .

وعن نزول سورة الصافات بعد سورة الأنعام يستدل على صحة هذا الترتيب من خلال المناسبة بين السورتين فيقول:

"في السورة حكاية لبعض مواقف وأقوال وعقائد العرب، وفصول من المناظرات والمشاهد بين النبي ﷺ والكفار، وبيان لمصير المخلصين والجاحدين يوم القيامة، وسلسلة قصص بعض الأنبياء وأقوامهم ومصائرهم وفيها بعض مواضيع السورة السابقة حتى تكاد أن تكون تتمة لها أو تعقيبا عليها مما فيه قرينة على صحة نزولها بعد سورة الأنعام....."[٤] .

وإن إعادة ترتيب السور وفق النزول يلِغي فكرة المناسبة بين السورة وسابقتها ولاحقتها في ترتيب القرآن الكريم، فكثير من علماء التفسير أثبتوا المناسبة بين السور، ومن هذه المناسبات المناسبةُ بين خاتمة السورة وافتتاحية ما بعدها، وهذه أمارة قويةٌ ترجح الرأي الذي يقول بأن الترتيب الحالي توقيفي ويعد هذا اللون من التناسب وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني، "فعلم المناسبات علم أصيل لا يمكن الاستغناء عنه، وهو رافد أساس من روافد إعجاز القرآن الكريم، وهو علم قد أفنى فيه الأوائل أعمارهم وجهدهم، وتلقَّتْه عنهم الأمةُ بالقبول؛ فلا يعقل أن نلغي علما قائما بذاته لأجل فكرة لا أساس ولا دليل ولا مسِّوغ لها"[٥].

(١) التفسير الحديث، دروزة، ٤٧/٣ .
(٢) التفسير الحديث، دروزة، ١٨٦/٣
(٣) التفسير الحديث، دروزة، ٢٧٩/٣ .
(٤) التفسير الحديث، دروزة، ٢٠٧/٤ .
(٥) دعوة المستشرقين لترتيب القرآن وفق النزول ودوافعها وإشكالاتها، محمد رضا حسن الحوري وآخرين، ص٢٣٣- ٢٣٩.

الخاتمة

النتائج:

- لم يُعرف في تاريخ الإسلام تأليف تفسير كامل على ترتيب النزول إلى أن صدر التفسير الحديث للأستاذ دروزة.
- علل دروزة ترتيب تفسيره على ترتيب النزول بأنه أراد من تلك الطريقة: متابعة مراحل التنزيل، ومعرفة المتقدم من المتأخر، ومعرفة مراحل التدرج التشريعي....إلخ.
- القول بترتيب القرآن على النزول دعوى لا تصح، وذلك لعدم وجود روايات تبين الترتيب الزمني الدقيق والصحيح لنزول السور، وكذلك الآيات التي تأخرت عن سورها ولم تنزل جملة واحدة.
- لم يلتزم دروزة بالترتيب الذي اعتمده لمصحف (قدور أوغلي)؛ بل قام بالتغيير في ذلك الترتيب الذي اعتمده، كما أن ترتيبه لم يتفق مع أي رواية من روايات ترتيب النزول.
- إن الدعوةَ لإعادة ترتيب القرآن وفق النزول تنطوي على إشكالات كثيرة، منها: عدم وجود مستند صحيح يعتمد عليه في ترتيب القرآن نزوليًا، ومنها أن فتح هذا الباب قد يؤدي إلى فتح باب آخر أشد خطرًا، وهو المطالبةُ بإعادة ترتيب الآيات وفق نزولها، ومنها أن إعادة ترتيب القرآن وفق الترتيب النزولي أمر غير ممكن، فضلاً عن كونه غيرمنضبط
- الالتزام بهذا الترتيب في كتابة المصاحف من الأمور الواجبة على الأمة التي تحرم مخالفته، كما أن الالتزام بهذا الترتيب في التلاوة والصلاة من الأمور المندوبة
  وتجوز مخالفته، كما تجوز مخالفته في التعليم كالبداية بقصار المفصل
- كان معرفة دروزة على ترتيب النزول للمكي والمدني مرتبطة بالترتيب الذي اعتمده، أو اجتهد في اختياره وأدى ذلك دروزة لأن ينكر الروايات الصحيحة أو يضعفها أو يهملها في حال أفادت حكمًا يخالف ما في هذا الترتيب المعتمد.
- اعتماد ترتيب النزول في التفسير دفع أصحابها إلى رد بعض روايات أسباب النزول الصحيحة لمخالفتها الترتيب، أو التوقف في قبولها أو أهمالها، أو تخريجها بما يتوافق مع الترتيب الذي اعتمده.
- المناسبات عند دروزة، لن نجد عنده اهتمامًا وذكرًا للتناسب بين السور على ترتيب المصحف، وذلك لأنه رتب تفسيره على النزول، فحاول إثبات وجود بعض وجوه التناسب بين السور على وفق ترتيب النزول، واعتبر

ذلك قرينة على صحة ترتيبه لتفسيره على النزول، وحاول في مواضع الاستدلال على صحة ترتيب النزول عن طريق المناسبات.

التوصيات:

- قيام مجموعة من العلماء المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن للتحذير من هذا المنهج في التفسير وبيان سلبياته، وبيان ضعف مستنده من روايات ترتيب النزول.
- أن يكون هناك مجمع للتفسير وعلوم القرآن على غرار المجمع الفقهي، يجتمع فيه المتخصصون في مجال التفسير وعلوم القرآن ليناقشوا المستجدات التي تطرأ على الساحة الإسلامية فيما يتعلق بكتاب الله.
- وضع ضوابط للتجديد في التفسير حتى لا يترك الأمر للأهواء للعبث في التفسير.
- دراسة منهج دروزة في التفسير، وذلك من خلال تفسيره "التفسير الحديث"، وبيان منهجه في علوم القرآن الكريم وتأثرها بالترتيب النزولي في تفسيره.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تم: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، عثمان بن محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٣- الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، المحقق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، تم: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م .

٥- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تم: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٩٩٠م .

٦- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تم: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م .

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تم: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٨- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
٩- تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٦ - ١٩٩٥م) يليه المستدرك الأول والثاني، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ .
١٠- ترتيب الآيات والسور في المصحف الشريف: حكمه بين التوقيف والاجتهاد وأثره في أحكام الكتابة والقراءة، علي بن ذريان بن فارس الجعفري العنزي، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، مج١٢ ع٥، ٢٠١٩م .
١١- ترتيب نزول السور وموقف الطاهر ابن عاشور منه: جمع ودراسة، شافي سلطان محمد العجمي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، مج٣٢ ع١٠٨، ٢٠١٧م .
١٢- تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم، طه محمد فارس، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، السودان، ٢٠٠٦م .
١٣- التفاسير حسب ترتيب النزول في الميزان، د. مصطفى مسلم، بحث منشور في موقع ملتقى التفسير، وقد ذكر الدكتور مصطفى أنه قدم بحثه هذا لأحد المؤتمرات، ولكنه لم يذكر عنوان المؤتمر أو تاريخه .
١٤- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ .
١٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تم: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩ م.
١٦- تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول (منبعه وفوائده)، محمد مجلي أحمد ربابعة، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلّد ٣٧، العدد١، ٢٠١٠م، ص٢٦٣.
١٧- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي .
١٨- تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول، وترتيب المصحف العثماني: الميداني أنموذجًا، دخيل بن عبدالله الدخيل، مجلة البحوث الإسلامية، س٥ ع٣٥، ٢٠١٩م .

١٩- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تم: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .
٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تم: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م .
٢١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تم: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٢- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .
٢٣- دعوة المستشرقين لترتيب القرآن وفق النزول ودوافعها وإشكالاتها، محمد رضا حسن الحوري وآخرين، مؤتة للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة مؤتة، مج٣٤، ع٣، ٢٠١٩م .
٢٤- رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تم وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٢٦- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ه)، تم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تم: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٨- فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .
٢٩- القرآن جمعه وترتيبه، محمد حجاج، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، ع٢، ١٩٧٢م .

٣٠- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن، ورد شبهات)، د.فضل حسن عباس، دار البشر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م .
٣١- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر بيروت، ١٤٠٢هـ .
٣٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ .
٣٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تم: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ .
٣٤- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تم: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
٣٥- مباحث في التفسير الموضوعي، د/مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
٣٦- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٣٧- المجلة العربية للثقافة، ع١٠، مارس ١٩٨٦م .
٣٨- مجلة كنوز الفرقان؛ العددان: (الأول والثاني)؛ السنة: (الرابعة)، محرم وصفر ١٣٧١ هـ .
٣٩- مجلة لواء الإسلام، العدد الأول، السنة السابعة ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .
٤٠- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تم: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
٤١- المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي،١٩٩٦م، ط١، حققه وعلق عليه واكمله بعد نقصانه: محمد بخيت المطيعي، دار الفكر، بيروت.
٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تم: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٤٣- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

٤٤- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٤٥- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، فريد مصطفى سليمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ .
٤٦- محمد عزة دروزة، حسين عمر حمادة، دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٤٧- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تم: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٤٨- مذكرات محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، الطبعة الأولى .
٤٩- مذكرات وتسجيلات، محمد عزة دروزة، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م .
٥٠- مسند الإمام أحمد، بو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تم: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥١- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، مكتبة الشارقة، مكة، ١٩٨٩م .
٥٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط٤٠، مكتبة الشروق الدولية مصر، ٢٠٠٤م.
٥٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تم: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٤- المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، عبد الله الخطيب - مصطفى مسلم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية .
٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.